

مختارات شعرية

من ضرب الكليم لمحمد اقبال

ترجمة : عبد الوهاب عزام بك

الانتخاب : عبدالرحمن الطاهر السورتى

الحياة

إذا لم تصب في الحياة النظر فليس زجاجك كفاء الحجر(*)
كفاح شديد، و ضرب شديد فلا تبغ في الحرب عزف الوتر
معين الحياة دماء القلوب ولحن الدماء لالمياه الفطر(**)

لا اله الا الله ***

ستسر في الذات معنى بعيد سره لا إله الا الله
سيف الذات قاطع غير ناب شحذه لا اله الا الله

* انت بالنظر الصائب صلب تطبيق الصدام في الحياة ، و ان لم يصب نظرك كنت كالزجاج لا تقوى على الصدام.

** لحن المياه يستخرج من أوان تصف و يوضع فيها الماء بمقادير مختلفة على نسب محددة ، و يضرب عليها . وهذه تسمى ”جل ترنك“، أى لحن الماء . فقال الشاعر ان القطرة لحن دم لا لحن ماء . يعنى ان أنغامها تنبعث من دماء الناس لا من المياه .

*** بنى الشاعر هذه الايات على كلمة التوحيد بلفظها العربى فجهدت في الملاءمة بينها و بين الوزن وجعلتها ردفا و بنيت الروى قبلها على الهاء غير ملتزم حرفا آخر.

عصرنا يتغنى خيلا حطوما	وثنه لا اله الا الله (١)
ان دنياك موئن لا تصدق	زوره . لا اله الا الله
في متاع الغرور تسعى وتبغى	ربحه! الا اله الا الله
يا أسير الخسار والربح ينسى	نفسه ! لا اله الا الله
مال دنياك و البنون خداع	كله . لا اله الا الله
هى أصنام واهم قد براها	و همه . لا اله الا الله
حبس العقل فى مكان و وقت	كفره . لا اله الا الله
لا زمان ولا مكان فحطم	غلبه . لا اله الا الله

اجتهاد

حكمة الدين كما قد زعموا	عُلمت فى الهند من أى طريق ؟
ما بها لذة سعى دائب	لاولا فيها من الفكر العميق
أين منهم جرأة العقل لدى	محفل يهفو إلى الفكر مشوق
آه للتقليد والاسر بما	السفسوه وزوال التحقيق
بدلوا القرآن لا أنفسهم	كم فقيه سجد من توفيق (٢)
و كفى القرآن نقصا أنه	ماهدى المؤمن منهاج الرقيق (٣)

الحياة حركة (٤)

ما القلب سات، قلب	فأحي ذا الرميما
يسمحو الفؤاد داء	فى أسم قديما
بحرك فى سكون	سحر أم أنسيما ؟
لا وحشش أو هياجيا	أو ساحلا لطيفا

وفى السماء سر	لست به عليما
سأهاج طرف نجم	منلك فتى كليما
رمى نشيد صبحى	أبءاك المهشما (٥)
شراة أكسنت	فى طينتى قديما
دنيا غد و أسس	يبصرها عليما
من حاز سئلى عينا	جريئة هجوسا

الصلاة

الأصنام لم تنقطع عبادتها، فلا تزال تظهر بين الناس فى صور مختلفة، فتعبد ضروب العبادات . فاعلم أن سجود الصلاة الذى يثقل عليك ينجيك من آلاف السجود لهذه الأصنام .

تلون فى كل ثوب مناة	وشاب بنو الدهر وهى فتاة
فهذا السجود الذى تجتويه	به من ألوف السجود نجاته (٦)

هزيمة

خلا الصوفى من حرق و كد،	شراب (ألست) معذرة البطاله (٧)
و فر إلى ترهبه فقيه	يرى فى الشرع معترك البساله (٨)
إذا خشى الرجال و غى حياة	فتلك هى الهزيمة لا محاله

الكافر و المؤمن

يكرر الشاعر هذا المعنى كثيرا : ان المؤمن سيطر على الكون يتصرف فيه، لا يضل فيه ولا يحار، فهو سائر على قانون يرفعه على الاحداث والغير، و أن غيره مقهور فى الكون حائر، تتلقفه أحداثه، و تقلبه غيره .

والفكرة مأخوذة من مثنوى جلال الدين الرومي . فقد قص المثنوى قصة
افتقاد حليلة الرسول في طفولته و طلبها أياه والهة، و أن جبريل لقيها فقال لها:
لا تخشي عليه أن يتيه في الآفاق، فهذه الآفاق تتيه فيه :

أسس عند البحر قال الـ	خضرتى قولاً أعيد (٩)
تبتغى الترياق من سم	سم فرنج تتقيه ؟
فخذن قولاً سديدا	هو بالسيف شبيه
ذا مضاء و ضياء	خبرة الصيقل فيه :
إنما الكافر حيران	له الآفاق تيه
و أرى المؤمن كونا	تاقت الآفاق فيه

القدر (١٠)

الخالق و إبليس

ابليس :	يسألسها أمره كن	ليس عنه من محيد
	لم يصب آدم منى	بعده أو حسود
	ويل غمر، من زمان	و مكان في حدود
	كيف أستكبر عن	أمرك أو كيف أجد
	كان فسى علمك أنى	حائد عن ذا السجود
الخالق :	هل عرفت السر هذا	قبل أو بعد الجحود ؟
ابليس :	بعد ! ياسن من تجلي	ه كمالات الوجود

الخالق (ناظراً الى الملائكة) :

خسة الفطرة فيه	علمته ذاك عذرا
قال : ما شئت سجودى	أنا لا أسلك أمرا

ذلك الظالم سمي
إنه سمي رسادا
إختياراً فيه جيرا
شعلة فيه وجمرا

لا والا

يرى أقبال أن الحياة محو و اثبات أو هدم و بناء . فالأمة الصالحة تمحو
السيئ و تثبت الحسن . و كلمة التوحيد قائمة على نفى غير الله و اثبات الله .
فان محت الأئمة ولم تثبت أو هدمت ولم تبين فعاقبتها الفناء . و هو يعنى هنا
حضارة أوروبا عامة والروس الشيوعيين خاصة .

لو لم تسر في ظلام التراب نابثة
تقضى الحياة بـ"لا"، في البدئية
ما نشرت في فضاء النور أغصانا
و في النهاية "لا"، تكمل الشانا
ان لم تجى بعدها "إلا"، مثبتة
كانت على الموت "لا"، في الدهر عنوانا
ان أمة روحها لم يمض معتزما
عن "لا"، فقد آذنت بالهلك إيدانا

الى امرء العرب

العرب هم الأئمة التي حملت الى الأمم رسالة الاسلام و علمتها الاخوة والتعاون .
والشاعر يعنى على امرء العرب أن نسوا هذه الرسالة التي بلغوها و كانوا أحق
بها وأهلها .

هلى يسعد الكافر الهندي منطقه
من أمة قبل كل الناس قد أخذت
مخاطبا امرء العرب فى أدب
بحكمة فأعانتها على النوب
وهجر كل غوى من أبى لهب
من أحمد العرب كانت أمة العرب
إخاء مصطفوى دون تفرقة
ماسن حدود و أرض كان منشؤها

الاحكام الالهيه

اقبال يؤمن بحرية الارادة، و ينفر كل النفور من الاعتقاد بالجبر والاستسلام
للاحداث . و في هذه الاثبات يقول إن الجماد والنبات خاضع لقوانين لا يجيد
عنها، و أما المسلم فهو خاضع لاحكام الله لا لقوانين طبيعية تسيره مجبرا . و هذه
الفكرة تلقى قارى شعره في مواضع كثيرة .

قيد القضاء ترى أم قيد أحكام	ما أعجزت هذه أرباب أفهام
في كل حين ترى التقدير في غير	رهينها بين لذات و آلام (١١)
إن النبات و ان الجامدات لها	من القضاء قيود ذات إحكام
والمؤمن الحر لا شئ يقيد	لكن لخالفه في قيد أحكام

الحضارة الغربية

أرى تثقيف إفرنج	فساد القلب والنظر
فروح حضارة لهم	خلت من عفة الوطر
إذا ما الروح جانبها	جمال الصفو والطهر
فأين جمال وجدان	ولطف الذوق والفكر

التريه

فرق علم و حياة	ليس فيه من خفاء
هو في الرأس ذكاء	وهي في القلب ذكاء (١٢)
قدرة في العلم تبدو	و ستاع و ثراء
سعضل أن ليس فيه	في خطى السير اهتداء

و أولو الابصار نزر و أولو العلم زهاء
 ليس بدعا أن كاسا لك من راح خلاء
 ما طريق الشيخ في المكا تب للقلب ضياء (١٣)
 كيف بالكبريت إشعا ل سراج الكهرباء ؟

الرجل الافرنجى

كم حكيم قد تمنى حلّه شكل المرأة في هذى الحياة
 لا تلمها في فساد شائع شهدت بالطهر كل النيرات
 عشرة الافرنج نهج بفسد جهل الحمقى طباع المحصنات

سؤال

إلى عالم الغرب من أسلست له الروم والهند يزجى سؤال :
 كمال معاشرة عندكم حيال النساء وعطل الرجال ؟ (١٤)

المرأة والتعليم

سوت الامومة إن راست حضارتهم فالموت عاقبة الانسان في الغرب
 إن يجعل المرأة التعليم لا امرأة فالعلم موت يراه صاحب القلب
 إن تحرم الفتاة الدين مدرسة فالعلم والفن موت العشق والحب (١٥)

اقبال

جلال الدين الروسى أكبر شعراء الصوفية، و مجد الدين السنائى طليعة
 شعراء الصوفية الكبار، و منصور فى لغة صوفية الفرس و الهند هو الحسين بن
 منصور الحلاج الصوفى المعروف . و الشاعر يتخيل أن السنائى قال فى الجنة

للموسى : لا يزال الشرق فى أسر القديم . فقال الحلاج قد ظهر مجذوب أنشى للناس
سر الذات فهو حرى أن يبدل الحياة فى الشرق .

قال للموسى فى الخلد سنائى : لا يزال الشرق بالتقليد يؤسر
قال منصور : ولكن قد سمعنا أن سر الذات أفشاء قلندر (١٦)

الفنون الجميله

نظرات الآفاق متعة عين	سرحوا العين يا أولى الأبصار
غير أنى أقول : ما نظرات	لا تجلى كسوانم الأسرار (١٧)
مقصد الفن فى الحياة لهيب	أبدى فما وسيض الشرار؟ (١٨)
قطر نيسان! ما اللآلىء إن لم	تتلاطم بها قلوب البحار (١٩)
ما نسيم الصباح فى الشعر والله	من اذا ما ذوى سنا الأزهار
ليس الا الاعجاز يحى فن	ليس ضرب الكليم فيه عوارى

مرزا بيدل

من شعراء ايران، ذهب الى الهند أيام السلطان شاه جهان فآكرم السلطان
وفادته . وهو شاعر صوفى له ديوان كبير يغلب فيه التعمق و تكثر الدقائق .
و قد أعجب اقبال بفكرة فى بيت لبيدل فبنى عليه هذه الأبيات وهى
ان هذا العالم الحسى لا خطر له بل لا وجود له الا عند من ضاق عن ادراك
الحقائق الكبرى التى يخفى معها هذا العالم . كالخمر يظهر لونها كأس الزجاج
لضيقها . و ترجمة البيت فى النشر .

((لواتسع القلب ما ظهر هذا المرج
ذى سماء و جبال و فججاج
فرّق الآراء إثبات و نفسى
عقيدة قد حلها بيدل حقا
((سأبدا ذا المرج ، لو فى القلب وسع
خرج لون الخمر من شدة ضيق الزجاج))
ذاك حق أم عيون فى اعوجاج
أهى دنيا أم خداع فى الحجاج ؟
أعجزت من قبله كل علاج
بان لون الخمر من ضيق الزجاج))

الجلال و الجمال

الشاعر من المعجبين بالقوة الداعين اليها، وهو يدعى هنا الـ جمال بغير جلال . يرى الكمال فى شجاعة على لا فى خيال افلاطون . و يرى سجود السماء للقوة جمالا – و قد تخيل الشعراء أن انحناء السماء فى رأى العين سجود – والنعمة التى لا قوة فيها نفخة ضائعة بل لا يحب أن يجازى الا بنار شديدة الالتهاب .

حسبى كمالا قوة من حيدر
وأرى جمالا فى بهاء أن ترى
ولنغمة من دون نار نفخة
لا أرتضى نار الجزاء ولم تكن
و كفاك من أفلاطن الا دراك
فى سجدة للقوة الافلاك
ما الحسن إلا بالجلال يحاك
وهاجة ولهيبها دراك

الغناء الحرام

ما بذكرى من التصوف وجد
قرب الله مذهبى من فقيهه
”إن سرت فى اللحون دعوة موت
أو برأى ثوابهم والعذاب
عرفت عنه سنة و كتاب :
حرم الناي عندنا والرباب،، (٢٠)

اصحاب الفن في الهند

تغيلهم جنازة كل عشق و ظلمة فكرهم للحى قبر
 وموتهم به نقش المنايا وليس لفنهم بالعيش خبر (٢١)
 يُنهم الروح في إيقاظ جسم ودون المجد يُسدل منه ستر
 يسخر للاثوثة كل شىء لهم قصص و تصوير و شعر (٢٢)

الرجل العظيم

هو في الحب عميق و هو في البغض عميق
 قهره فروق عباد الله بسر و شفيق
 نشأته ظلمة التقليد بالناس تحسيق
 غير أن الطبع بالاب دواعي الخلق خليق
 هو في المجمع خال ومن الحشد طليق
 مثل شمع الحفل، في الحف بل و حيد و رفيق (٢٣)
 مثل شمس الصبح، فكر فيه نور و بريق
 لفظه حر يسير لكن المعنى دقيق
 نظرفيه سديد عن بنى العصر سحيق
 ليس يدري أى حال فيه أشياخ الطريق

الشعر

لم أدر سر الشعر إلا نكتة سير الشعوب تُبينها تفصيلا

الشعر فيه من الحياة رسالة
أبدية لا تقبل التبديلا
إن كان من جبريل فيه نعمة
أو كان فيه نفي إسرائيلا (٢٤)

انقلاب

أبشرق أو مغرب نار الحياة ونورها
فهنا تموت ذواتها وهناك سات ضيرها
وأرى القلوب لثورة سلُّ البلاد زفيرها
فلعل دنياك القديحة للممات مسيرها

أوروبا اليهود

أقبل توفي سنة ١٩٣٨ فهو لم يشهد حرب فلسطين ولم يرتسلط اليهود
على أوروبا وأمريكا كما رأينا . ولكنه نظر الى الحوادث نظرة عارف خبير

نظام و مال و عيش رغيد وظلمة صدر لها القلب يقلي
دخان المصانع في الغرب داج فواديه ليس بأهل التجلي
رأيت حضارته في احتضار تموت اعتباطا، وما الموت يملي (٢٥)
فليس غريبا تولى اليهود كنائسه بعد هذا التولى

عبودية الأنفس

لا تغلو الاسم الذليلة من شعراء و حكماء و علماء يسلكون مسالك شتى
الى غاية واحدة هي أن يروضوا الامة على الخضوع، ويمحوا من سجايها الاقدام،
حتى ترضى بالرق، هذا مقصدهم و كل تأويل في القول تحيل لهذا المقصد :
ليس يخلو زمان شعب ذليل من عليم و شاعر و حكيم

فرقتهم مذاهب القول لكن جمع الآراء مقصد في الصميم
 "علموا الليث جفلة الظبي واحموا قصص الأسد في الحديث القديم"، (٢٩)
 همهم غبطة الرقيق برق كل تأويلهم خداع عليهم

الروس الشيوعيون

ان سير القضاء جد عجيب أي سر حوى ضمير الزمان
 ليس يالو الصليب كسراً قبيل كان يرجو النجاة بالصلبان
 أمر الوحي ملحدى الروس: "هدنوا ما أقام القسوس من أوثان"،

الديموقراطية

بدا السر في قولة من أريب وما كان من قبله يعلن: (٢٧)
 نظام الجماهير حكم به تعدّ الرجال ولا توزن

نصيحة

قال لرد من الفرنج لنجل أنغ مرأى يدوم فيه المراد (٢٨)
 أنظلم الظلم للمساكين إعلام خراف شريعة الآساد (٢٩)
 إن للملك سره فاكتمنه: لا ترم بالسيوف قهر العباد
 وبحمض التعليم فاغمس نفوسا ثم صنغ طينها وفاق المراد
 أين منه الأكسير؟ هذا محيل جيل التبر كومة من رماد

قرمان و اسكندر

اسكندر:

جزاؤك في سلاسلك ارتهان أو التصميم من سيفى العتيق (٣٠)

فقد صيرت وسع البحر ضيقا
 بما أمنت في قطع الطريق
 القرصان :

سكندر! للفتوة لم توفى
 أيجمل بالفتى فضح الرفيق؟
 فان القتل دأبى لا أمارى
 كذاك القتل دأبك يا صديقى
 كلانا اليوم قرصان : بير
 تصول، وصلت في بحر عميق

صلاة العبيد

جاء الى لاهور وفد من الهلال الاحمر التركى فصحبهم اقبال فى صلاة
 بالمسجد الكبير فأطال الامام الصلاة، فسأل أحد رجال الوفد : لما ذا يطيل الصلاة
 إمامكم هذه الاطالة ؟ فكتب اقبال هذه الايات :

قال بعد الصلاة حلف جهاد :
 كم يطيل الصلاة فيكم امام
 مادرى ذاكم المعاهد المؤمن الغر
 صلاة العبيد كيف تقام
 كم لدى الحر فى الحياة كفاح
 غيرة الحر للشعوب قوام
 حرم العبد حرقة الكد عجزاً
 فعلى وقته المضى حرام
 لا تعجب اذا أطال سجوداً
 مالمديه سوى السجود مرام
 ربّ وفق أئمة الهند يوما
 لسجود تحيا به الاقوام

الى عرب فلسطين

لا يزال الزمان يصلى بنار
 لم تزل فى حشاك دون خمود (٣١)
 لا دواء بلندن أو جنيوا (٣٢)
 بوريد الفرنج كف اليهود (٣٣)
 ومن الرق للشعوب نجاة
 قوة الذات وازدهار الوجود

من أفكار الشاعر محراب جل الافغانى

فى وصف الشعب الافغان

(١)

سواد عيون عترته فتى حليف طهارة وقتى ضراب
يُرى فى السلم ظيبا ذا جمال وفى يوم الكريهة ليث غاب
به نارٌ تحرق كل شىء وحسب الغاب من شرر الثقاب
جباه الله أبهة و ملكا بفقر حيدرى واحتساب
سبيل التاج حسر الرأس عنه فلا تنظر إليه بارتياب (٣٤)

(٢)

فى بارحاتك لآلات أنواره يسطيع نورا ذا السراج الخابى (٣٥)
يشكو الضعيف من الزمان صروفه و الحر فيه باسم لحراب
من صوت طير الصبح يدهش ذا الفتى أترأه أهل تطاعن و ضراب
حذرى لأنك فى طباع طفولة و الغرب تاجر سكر و جلاب (٣٦)

(٣)

ليس الذى يدرك الألوان ذوالبصر

بل مغتن عن ضياء الشمس و القمر (٣٧)

يامؤمنا قد شأى الافرنج منزلة

تقد من ! ليس هذا منتهى السفر

وحانة الغرب للصاى مفتحة

ما السكر فيها يعلم العصر بالنكر

لك الممات بهذا السكر مستتر

إن لم يكن فيك للتوحيد من شرر(٣٨)

هل يسمعن بنو الخانات موعظتى

فى شملة لست ذا تاج ولا سرر؟(٣٩)

وصيه- سلطان تيبو

السلطان تيبو كان من ملوك المسلمين فى ميسور جنوبى الهند . و قد حارب الانكليز زمنا طويلا و حاول أن يؤلب عليهم دولا اسلاسية و يتفق مع نابليون، و كان فى مصر حينئذ . فجمع له الانكليز ما استطاعوا . وقاوسهم بكل مالدية من قوة، مات سنة ١٢١٣ هـ .

و هو عند اقبال ممن تتجلى فيهم (الذاتية) فقد جعل هذه الوصية على لسانه .
و فى هذه الأبيات اصول من فلسفة اقبال : يدعو الى السير الدائب، و هجر المحمل و لو فى صحبة ليلى، و الى المضى والتقدم والنماء، فهو يدعو جدول الماء أن يسير حتى يصير نهرا، و الى السيطرة على هذا الكون والتغلب عليه حتى لا يضل الانسان فيه، و الى أن يحرق الانسان بحرارة ذاته ولا يقبس من أحد نارا، و ألا يذل القلب للعقل :

طاوى البيداء شوقا ! أقبلن لا تعرج، سنزلا لا تقبلن(٤٠)

لا ! و إن سار بليلى محمل فاض شوقا، محملا لا تقبلن

جدول الماء ! تقدم مسرعا واغد نهرا، ساحلا لا تقبلن
لا تحرفى مصنم الكون و سر فى البرايا، ضللا لا تقبلن
يا مذيب الحفل ! لا تقبل له حرقة، كن شعلا، لا تقبلن
كل قلب ذل للعقل فقد قال ربي أزلا : لا تقبلن
وحد الحق و ثنى باطل شوب حق باطلا لا تقبلن

المراجع

- ١ - الوثن جمع و ثن، والموثن مكان الاوثان.
- ٢ - كمر اقبال هذا المعنى فى شعره، يقول : ان النفوس قد ضعفت فأولت القرآن تأويلا يلائم ضعفها اشفاقا من تكاليفه.
- ٣ - يعنى ان الذين بدلوا القرآن المذكورين فى البيت السابق لم يجدوا فى القرآن طريقا الى العبودية التى سكنوا اليها فحسبوا القرآن ناقصا.
- ٤ - عنوان هذه القطعة فى الاصل (غزل). والغزل عدهم آيات قليلة تجمع أفكارا مختلفة.
- ٥ - الأباء القصب. و هو سريع الاحتراق. ثم القصب يحرق أحيانا لاء خصاب الأرض فالشاعر يعنى انه يحرق الأنفس لترداد حياة.
- ٦ - تجتويه : تكرهه.
- ٧ - يوم ألت أو عهد "ألت"، اشارة الى الآية : ألت بربكم. فالصوفى فى سكر بذكرى ألت يتعلل به و يعتذر لبطالته.
- ٨ - لما رأى الفقيه أن الشرع جهاد و كفاح فر الى الترهيب.
- ٩ - يروى أن الخضر صاحب اسكندر حتى بلغا أرض الظلمات و فيها عين الحياة فشرب منها الخضر فخلد و لم يهتد اليها اسكندر. فينسب الشعراء الى الخضر المعرفة و الحكمة ، و يقولون عنه ما يشاؤون.
- ١٠ - مأخوذة عن محيى الدين ابن عربى.
- ١١ - عالم الطبيعة و الحادئات فى تغير مستمر فمن خضع له تداولته اللذات والآلام.
- ١٢ - ذكاء : اتقاد.
- ١٣ - المكتب : المدرسة. و فى تركيا المدرسة خاصة بالعلوم الدينية والمكتب لما يسمى مدرسة فى مصر. والكلمة بعينها فى الاصل.
- ١٤ - الحيال : الخلو من الحمل.

الانسان عن الانسان و آسن بأن له وجوده الفردي الخاص، و بأن هذا الخير الذى يذيعه فى الناس والذى يريد أن يملأ به الأرض يجب أن يصدر عنه هو من حيث أنه فرد مستقل كائن خاص سمتاز عن غيره، يريد الخير و يصدره عن نفسه مريدا عامدا، لا كما يصدر الضوء عن السراج، دون أن تكون للسراج فيه ارادة، بل كما يصدر الضوء والنور عن الله، لأن الله يريد أن يملأ الأرض وأن يملأ العالم ضوءا و نورا .

و الذى كان يريده اقبال للفرد كان يريد مثله للجماعات حين يتاح لها أن تأتلف وأن توحد بينها هذه المقومات التى تكون منها أمة مشتركة المنافع مشتركة الآمال والغايات والآلام والحاجات .

وهو من أجلها لم يدع الى شىء كما دعا الى أن يكون المسلمون فى هذه القارة التى نسميها قارة الهند، لم يكن يدعو الى شىء كما كان يدعو الى أن يمتاز المسلمون ما دامت بينهم هذه الخصائص التى تجمع، ولهم هذه الآمال و هذه الآلام و هذه الغايات العليا التى يشتركون فيها جميعا و تخالط قلوبهم و ضمائرهم جميعا. فيجب أن يمتازوا وأن يكون لهم وجودهم السياسى والاجتماعى الخاص و أن يصدروا فيما يكون بينهم و بين غيرهم من أهل الهند، و فيما يكون بينهم و بين غيرهم من الناس جميعا، عن ارادة للخير، و ارادة للنصح، و ارادة للتعاون والتضامن فى ترقية الحضارة و نفع الانسان والخروج به من هذه الحياة الشريرة المظلمة التى يحيها الى حياة أخرى خير منها .

كان اذن حريصا على أن يتوحد الفرد فى وجوده و على أن تتوحد الامة فى وجودها، و على أن يكون هذا التوحيد وسيلة الى التضامن الذى يصدر عن الارادة ولا يصدر

عن الغريزة ، يصدر عن القلب وعن العقل وعن التفكير، بحيث يكون الانسان - كما قال ارسططاليس - حيوانا اجتماعيا، ولكن حيوانا اجتماعيا في ارادته، وعن رأيه وعقله، لا بغريزية كما تكون النحل أو كما تكون النمل . فالانسان هو خير ما في هذه الأرض من الكائنات التي أتاحت لها الحياة، فيجب أن يمتاز في الأرض و يجب أن يمتاز أفراده، و أن تمتاز أسمه، وأن يتحقق بين الناس هذا الامتياز الذي يتيح لكل فرد منها استقلاله، و هذا التضامن الذي يتيح لهم جميعا أن يتعاونوا على البر و التقوى وأن لا يتعاونوا على الاثم والعدوان .

و سن أجل هذا، و سن أجل حرص اقبال على هذه الشخصية، و على أن يحرص الانسان أشد الحرص على أن يتوحد كما توحد الله، و على أن يمتاز كما استاز الله، و على أن يسود الأرض التي سخرها الله له، و يخضع الطبيعة التي سخرها الله له، سن أجل هذا كله ظن بعض الأوربيين الذين قرأوا فلسفة اقبال و شعره عندها ترجمه نيكلسون الى الانجليزية، ظنوا أنه متأثر بنتشه، و متأثر بنتشه في مذهبه في الانسان الممتاز أو ((السويرسان)). و لكن اقبالا نفسه رد على هؤلاء الناس فقال أنه عندها جهر بمذاهبه هذه لم يكن يعرف نتشه، ولم يكن يعرف أن في الأرض انسانا يسمى بهذا الاسم، و انه إنما عرف الغرب وفلاسفة الغرب بأخرة بعد أن أنشأ فلسفته و آدابه و بعد أن تقدم بهذه الفلسفة و بهذا الأدب شوطا بعيدا .

و سهما يكن سن شى فهدان الشاعران العظيمان لم يعرف الاسلام مثلهما قبل أبي العلاء، و نرجو أن يعرف الاسلام مثلهما بعد اقبال . ولكن الشى الذى ليس فيه شك هو أن الاسلام لم يعرف مثل هذين الشعارين لا قبل أبي العلاء ولا بين أبي العلاء و بين اقبال .

والآخر - وهو اقبال - كان ينظر الى العرب و يشيد بهم، و يشي عليهم،
و يتخذهم المثل الاعلى للانسانية الجديرة بالوجود والحياة والبقاء .

كلاهما آسن بشخصيته و دعاالناس الى أن يؤمنوا بأنفسهم . ولكن أحدهما -
وهو أبو العلاء - آسن بشخصيته ايمانا انتهى به الى اليأس و السلب، وانتهى به
الى اعتزال الناس، و ان أحبهم كما لم يحبهم أحد قبله .

والآخر آسن بنفسه و التمس مثله عند العرب ولم يلتصق قريبا منه فى الهند .
ثم لم يعتزل وانما كره العزلة . ولم يرفض الحياة و طيباتها، ولم يلعن غرائزه كما
فعل أبو العلاء، وانما دبر و سيطر عليها و حكم عقله فيها .

و كذلك يتفق هذان الرجلان العظيمان أعظم الاتفاق وأقواه، ثم يختلفان
أبعد الاختلاف وأنهاء .

كان أبو العلاء لا يزدري الناس كما ازدراهم الافكرة واحدة . كان يزدريهم
أشد الازدراء لأنهم يفتنون أنفسهم فى السادة، و يفتنون أنفسهم فى الرؤساء،
و يستعبدون أنفسهم للملوك والأمرء . و كان حريصا أشد الحرص على أن يشعر
الناس بأنهم يجب أن يكونوا أكرم على أنفسهم من هذا، و يجب أن يتوحدوا
كما توحد ربهم :

توحد فان الله ربك واحد ولا ترغبين فى عشرة الرؤساء

كان أبو العلاء أذن يريد أن يشعر الناس بانفسهم، و يعرفوا حتمهم، و يفرضوا
شخصيتهم على الدنيا، و أن يرفعوا أنفسهم عن الخضوع والفناء . و كان يعيب
الأمرء و يعيب الملوك و يراهم ظلما مجرمين .

مل المقام فكم أعاشر أسة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها وعدوا مصالحها وهم أجراءها

ولكن هذا كله لم يهون على أبي العلاء أن يحيا مع الناس كما كانوا يحيون . رأى أن الحياة الاجتماعية في عصره لا تستقيم له الا اذا أنكر نفسه وأصبح خادما كغيره من هؤلاء الخدم الكثيرين الذين كانوا يسودون و يذلون في الوقت نفسه للملوك والرؤساء، فنفى نفسه من الأرض ولزم داره وأقام فيها لا يخرج منها خمسين عاما أو نحو خمسين عاما .

أما اقبال فانه آمن بشخصيته أشد الايمان كما آمن بها أبو العلاء، ولكنه لم يكتف بأن يؤمن بنفسه، ثم يكتفى بهذا الايمان قانعا بنفسه زاهدا في احياء هذه الشخصية في الناس جميعا، وانما كان ايجابيا . كان حريصا أشد الحرص على أن يؤمن بنفسه، وأن يحمل الناس على أن يؤمنوا به . أن يؤمن بشخصيته و يحمل الناس، لا في باكستان والهند وحدهما، ولا في العالم الاسلامي وحده، بل في العالم الانساني كله . كان حريصا أن تكون حياة الانسان قائمة على ايمان الفرد بنفسه، و على أن يفرض الفرد نفسه على الحياة، لأن يخضع لها . و يفنى في هذا المظهر أو ذاك من مظاهرها . و كان في الوقت نفسه منطقيًا مع هذا الرأي الفلسفي الخطير . كان اجتماعيا كأشد ما يكون الانسان اخلاصا للجماعة، أن أفنى حياته كلها مرشدا معلما ناصحا داعيا للعالم الاسلامي وللانسان الى أن يكرم على نفسه ليكرم على الناس وليكرم على الحياة . ولكنه في الوقت نفسه كان يرى أن هذه الحياة التي يخلص الانسان فيها للانسان، و ينصح الانسان فيها للانسان و يعين الانسان فيها للانسان، لا تستقيم ولا تصلح ولا تؤتي ثمرتها الا اذا انفصل

- ١٥ - ان اغفلت المدرسة الدين الذى يحفظ المرأة حرمتها و جدودها ، فعلمها و فنيها موت عاطفة المرأة و ذهاب الحق .
- ١٦ - راجع المقدمة (المدخل لضرب الكليم) فى معنى قلندر .
- ١٧ - ان لم تنفذ نظرات صاحب الفن الى حقائق الاشياء فما هى بمجدية .
- ١٨ - الفن يصور لهيب الحياة الابدى ، فلا قيمة للفن الذى يخرج شرارا لا يلبث أن يطفأ
- ١٩ - قطر المطر فى نيسان يخلق منه الدر فى الصدف . يقول الشاعر يا قطر نيسان ما قيمة الدر الذى لا يضطرب له قلب البحر . يعنى أن بدائع الفن ينبغى أن يجيش لها قلب العالم .
- ٢٠ - هذا مذهبه ، الألحان التى تميت النفوس حرام .
- ٢١ - الموثن : معبد الأوثان .
- ٢٢ - الفن الهندى يعنى بالشهوات الجسمية و يفتن فى تصويرها فهو يوقظ الجسم و ينمى الروح ، و يسخر كل شئى للأوثان .
- ٢٣ - يكون فى جمع من الناس وكأنته وحده ، له فكره و نظره . مثل الشمعة رفيقة الحاضرين و وحيدة بحرقتها و نورها .
- ٢٤ - الشعر يحمل رسالة من الحياة أبدية ان كان جميلا هاديا كنعيمات جبريل (و جبريل رسول الوحي) أو كان فيه صعب و بعث كصوت أسرافيل .
- ٢٥ - تموت فى شبابها ، و الموت لا يمهل .
- ٢٦ - فى هذا البيت مقصد القائلين المذكورين فى البيتين السابقين .
- ٢٧ - ســـــــــــــــــــــــــــــــــتتدل .
- ٢٨ - أطلب المنظر الذى لا تنتهى منه العين ، أى المطمع الذى لا يحد .
- ٢٩ - أظلم الظلم أن تعلم الغنم سيرة الأسد أى تعلم الأسم الذليلة طريق الحرية والقوة .
- ٣٠ - صمم السيف أصاب المفصل فقطعة .
- ٣١ - يعنى أن النار التى سرت فى الزمان من تاريخ المسلمين لا تزال فى نفس المسلم لم تخدم .
- ٣٢ - جنيــــــــــــــــــــــــــــــــف .
- ٣٣ - يعنى يقبض اليهود على وريد أوربا .
- ٣٤ - و هو حاسر الرأس و لكنه طموح الى التاج أو هو فى همته و عزيمة كصاحب التاج فلا تحقره بأنه حاسرـــــــــــــــــــــــــــــــــر .
- ٣٥ - هذا السراج الخابى هو الذى أضاء لك البارحة فهو أهل لأن يضى مرة أخرى ، يعنى الاسلام .
- ٣٦ - يخاف على المسلم أو الشرقى لأن فيه طبع الطفل يحب السكر والجلاب . و أوربا تحسن التجارة بهما ، فهو يتهاقت على تجارتها .
- ٣٧ - ليس بمبصر الذى يرى الألوان ، بل الذى يدرك الحقائق والأسرار التى لا يراها فى رؤيتها الى الشمس والقمر .
- ٣٨ - لا يضير فى أن تأخذ علوم النصر و تنتشى بها و لكن الهلاك فيها أن تغفل بها عن الايمان والتوحيد .
- ٣٩ - الخانات جمع خان . و معاه الأمير . يعنى يسمع هؤلاء الأمراء قولى و أنا فى ثياب خشننة لست ملكا ولا أميرا .
- ٤٠ - القافية مردوفة والروى اللام فى منزلا و ساحلا الخ .

